على الله عز وجل وهو مثل قوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك وان
كان بعض الناس تاوله بان جعل النفس راجعة الى عيسى عليه السلام اي
ولا اعلم ما في مخلوقتك وكانه اوقع الظاهر موقع المضمر على هذا اذ كان
الاصل ولا اعلم ما فيها حرصا على بقا قوله تعالى كل نفس ذائقة الموت
على عمومه وفيه بعد او هو بعيد فان صح له هذا في الاية كيف يصح له ذلك
في هذا الحديث وما اشبهه مع انه لا ضرورة تدعوا الى ذلك الثاني
قوله وجعلته بينكم محرما اي حكمت بتحريمه عليكم وهذا مجمع عليه في
كل ملة والله اعلم فان الملل كلها قد اتفقت على مراعاة حفظ العقول والانفس
والاموال والانساب والاعراض والظلم قد يقع في هذه او بعضها الثالث
قوله فلا تظالموا اي لا يظلم بعضكم بعضا كما تعطيه صيغة المفاعلة
والاصل فلا تتظالموا فحذفت احدى التائين تخفيفا ولتعلم ان شرط
حذف احد المثلين تساوي الحركتين كما في الحديث فان اختلفا لم يجز الحذف
لو قلت تتواضع الامة وتتغافر الذنوب وما اشبه ذلك لم يجز الحذف
فاعرفه ويجوز تظالموا بتشديد الظا على ادغام احدى التائين في الظا
وربما جاءت رواية هكذا والله اعلم الرابع قوله تعالى يا عبادي كلكم
ضال الا من هديته اختلف في معناه على قولين احدهما انهم لو تركوا
على العادات وما تقتضيه الطباع من الميل الى الراحات واهمال النظر المودي
الى المعرفة لغلبت عليهم العادات والطباع فضلوا عن الحق وهذا هو الضلال
المعنى لكن من اراد الله توفيقه الهمه الى اعمال الفكر المودي الى معرفة الله سبحانه

ومعرفة الرسل

٤٧

ومعرفة الرسل واعانته على الوصول الى ذلك وعلى العمل بمقتضاه وهذا
هو الهدى الذي امرنا بطلبه وسواله الثاني من القولين ان الضلال
هنا يعني به الحال التي كانوا عليها قبل ارسال الرسل من الشرك والكفر
والجهالات وغير ذلك كما قال تعالى كان الناس امة واحدة فبعث الله
النبيين مبشرين ومنذرين اي على حالة واحدة من الضلال والجهل
فارسل الله الرسل ليزيلوا عنهم ما كانوا عليه من الضلال ويبينوا لهم مراد
الحق منهم في حالهم ومآل امرهم فمن نبهه الحق وبصره واعانه فهو المهتدي
ومن لم يفعل به ذلك بقي على ذلك الضلال تنبيه قال ابن فرح رحمه الله
وعلى كل واحد من التاويلين فلا معارضة بين قوله تعالى كلكم ضال الا من
هديته وبين قوله عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة لان هذا
الضلال المقصود في هذا الحديث هو الطاري على الفطرة الاولى
المغير لها والذي بينه النبي صلى الله عليه وسلم بالتمثيل في الحديث الاخر
حيث قال كما تنتج البهيمة بهيمة جمعا قلت والبهيمة الجمعا
التي لم يذهب من بدنها شي قاله الجوهري قال وبقوله خلق الله الخلق
على معرفته فاغتالتهم الشياطين وهذا الحديث حجة لاهل الحق
على قولهم ان الهدى والضلال خلقه وفعله يخص بما شا منهما من يشا
من خلقه وان ذلك لا يقدر عليه الا هو كما قال تعالى يضل الله
من يشا ويهدي من يشا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله وما تشاوون
الا ان يشا الله وقد نطق الكتاب بما لا يبقى معه ريب لذي فهم سليم